كتاب

الخيرات الحسان في مناقب الامام الاعظم
أبي حنيفة النعمان للعلامة مفتى الحجاز
الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر
الهيتمى المكى المتوفى سنة ٩٧٢
رحمه الله تعالى آمين

طبع على نفقة مولوى محمد عبد الله جيتيكر
وشركائه فى بومبي الهند سنة ١٣٢٤

(طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر)
[لصاحبها محمد إسماعيل]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اختص العلماء بوراثة الأنبياء والتخلق بأخلاقهم * وجعلهم القدوة للكافة في معاشهم ومعادهم * وميز المجتهدين منهم بقيامهم بمصالحهم وايضاح الحق لهم في مصادرهم ومواردهم * وباضطرار الخلق اليهم في قوام ما به حياة أرواحهم وأبدانهم * فهم الملوك لا بل الملوك تحت أقدامهم وفي أسر رأيهم وأقلامهم * وهم النجوم لا بل النجوم تستمد من أنوارهم * وهم الشموس لا بل الشموس تستضيء من أضوائهم * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة أترقى بها في كمالات مغارفهم * وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المذيع لمعالي مناقبهم وكمالهم * والمفيض عليهم من سوابق التوفيق لاقتفاء آثاره في سائر أحوالهم * ماسبقوا به من سواهم الى الخلافة الكبرى عنه في الهداية والامداد للخلق ببواطنهم وظواهرهم * صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين حازوا من قصب السبق في مضمار الكمالات الصمدانية والمعارف المصطفوية ما صاروا به القدوة الكبرى والمحجة البيضاء لاوائل الخلق وأواخرهم * صلاة وسلاما دائمين بدوام العلماء وظهور سؤددهم ومآثرهم (وبعد) فانه ورد علينا من منذ سنين بمكة المشرفة زادها الله تشريفاً وتكريماً * وجلالة ومهابة وتعظيما * رجل من فضلاء القسطنطينية وصلحائهم لجمعه بين العلوم النقلية والعقلية * والقوانين

العلمية والرسمية * وعلوم الاخلاق والمواهب * والاحوال والمطالب * التي فاز بها القوم * السالمون من الاعتراض واللوم * ساداتنا الصوفية * وأئمتنا الطائفة الجنيدية * فساجلنا وساجلناه مساجلة الاحبة الذين هم على سرر متقابلون * ومن بحار المعارف يغترفون * الى أن انجرّ الكلام الى الأئمة الجامعين بين العلوم الرسمية * والمعارف الوهبية * المتحفين بدوام الشهود وهوامع الكرم والجود * فقال ذلك الفاضل العالم الكامل أودّ منكم مختصراً جامعاً * ودستوراً لطيفاً مانعاً * يشتمل على تلخيص ما أطال به الائمة فى مناقب الامام الاعظم والقدوة المقدم أبى حنيفة النعمان سقى الله مرقده شآبيب الرحمة والرضوان وأسكنه أعلى فراديس الجنان * فبادرت الى امتثال أمره المحتم وبذلت الجهد فى تلخيص تلك المناقب فانه المقصد الأهم فجاء بحمد الله مختصراً لطيفاً وأنموذجا شريفاً فكتب منه نسخة وذهب به الى بلده أعظم بلاد الاسلام ومحط رحال العلماء الاعلام ومنبع الافاضل ومفزع الاماثل ثم كتبه الناس بعده واقتفوا أثره ومجده وتفرقوا به في البلدان ولم يبق عندى الا نسخة الاصل والله المستعان فاستعارها بعض الحنفية ليكتبها ويردها ثم سافر بها غير ملتفت الى عظيم وزر فقدها فتأثرت لذلك وأعدت النظر فيما لائمة المناقب من المسالك الى ان ظفرت بكتاب جامع فيها لصاحبنا الشيخ العلامه الصالح الفهامه الثقة المطلع والحافظ المتبع الشيخ محمد الشامي الدمشقي ثم المصرى فلخصت مقاصده ونقحت مصادره وموارده فى هذا الكتاب البديع الجامع المحكم المنيع (وسميته) الخيرات الحسان فى مناقب الامام الاعظم أبى حنيفة النعمان رحمة الله عليه ورتبته على مقدمات ثلاث وأربعين فصلا

﴿ المقدمة الاولى ﴾

اعلم ان بعض المتعصبين ممن لم يمنح توفيقاً جاءني بكتاب منسوب للامام الغزالي فيه من التعصب الفظيع والحط الشنيع على امام المسلمين وأوحد الائمة المجتهدين أبي حنيفة رحمه الله ما تصم عنه الآذان ويقول عند سماعه الموفق المنصف ليت ذلك ما كان كيف وقد أدى ذلك شمس الائمة الكردري الي ان بسط الكلام في رد ذلك الكتاب وقابل مؤلفه مقابلة الفاسد بالفاسد فشنع على الشافعي رحمه الله أعظم من ذلك التشنيع وبسط الكلام بما لا يحمد من الصنيع كل ذلك منه بناء على أن ذلك الغزالي هو الامام محمد حجة الاسلام وليس هو هو لما يأتي في احيائه من مدح أبي حنيفة وترجمته بما يليق بعلي كماله وأيضاً فلأن النسخة التي رأيتها مكتوب عليها ان هذا الكتاب تصنيف محمود الغزالي ومحمود هذا ليس بحجة الاسلام ومن ثمة كتب على حاشية تلك النسخة هذا شخص معتزلي اسمه محمود الغزالي وليس هو حجة الاسلام قال بعض محققي الحنفية ممن أخذ العلم عن المولى سعد الدين التفتازاني ونفرض أن ذلك صدر عن الغزالي حجة الاسلام فهذا انما صدر عنه حين كان متلبساً بعلوم الجدل وحظوظ طلبة العلم وأما في آخر أمره حين تخلى عن تلك الحظوظ وأفيضت عليه سجال المعارف والشهود فقد عرف الحق لاهله وأقره في محله والدليل على ذلك كلامه في الاحياء انتهى ولا بأس بذكر خلاصة كلامه في الاحياء ليعلم نزاهة مؤلفه حجة الاسلام مما نسب اليه وقبل ذلك نقدم عليه مقدمة * وهي ان بعض علماء الهند اختصر الاحياء اختصاراً بليغاً سماه عين العلم لم يسبق الى مثل اختصاره مع تعدد مختصريه فانه أشار الى مقاصده في أوراق قليلة تكاد ان تكون من جوامع

الكلام فلذا وضعت على كتابه شرحا له لانه لفرط مافيه من الايجاز يكاد أن يعد من الالغاز وعبارة ذلك المختصر مع عبارة شرحي له وتمام العبارة ستأتي في آخر الورقة الثانية والاولى ان يختار من الأئمة الاربعة من ظن انه أفضل الاربعة وأعلمهم لأن نفسه حينئذ تنقاد الى قوله وتخضع لرأيه وتبادر الى امتثاله والعمل به أكثر ثم كل من أبي حنيفة ومالك والشافعي رحمة الله عليهم امتاز باقليم لايعرف فيه غير اتباعه أو يكون اتباعه فيه أكثر كاقليم الحجاز واليمن ومصر والشام وحلب وعراق العرب والعجم بالنسبة للشافعي رحمه الله وكالغرب على سعته بالنسبة لمالك رحمه الله وكالروم والهند وما وراء النهر بالنسبة لابي حنيفة رحمه الله ومن ثمة قال المصنف كأبي حنيفة رحمه الله عندنا معشر الحنفية فقد ورد من طرق أي يأتي الكلام عليها مبسوطاً قريباً أبو حنيفة سراج أمتي وفضله رحمه الله وما اشتهر عنه من العبادة والورع والزهد والسخاء ودقة النظر وحدة الفكر يغني عن أن يستدل لفضله بما أطبق المحدثون على وضعه وسمع في المنام الباري تعالى يقول أنا عند علم أبي حنيفة أي بالحفظ والقبول والرضا وانزال البركة فيه وفي الآخذين به وسلم المخالفون سبقه في الفقه ومن ثمة قال الشافعي رحمه الله الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة وقال أيضاً من أراد ان يعرف الفقه فليلزم أبا حنيفة وأصحابه وقال أيضاً قلت لمالك كيف رأيت أبا حنيفة فقال رأيت رجلا لو كلمك في السارية ان يجعلها ذهباً لقام بحجته ولما دخل الشافعي بغداد زار قبره وصلى عنده ركعتين فلم يرفع يديه في التكبير وفي رواية أن الركعتين كانتا صلاة الصبح وانه لم يقنت فقيل له في ذلك فقال أدبا مع هذا الامام ان أظهر خلافه بحضرته وقال الفضيل بن عياض وناهيك به جلالة كان أبو حنيفة معروفا بالفقه مشهوراً بالورع ومن عظيم ورعه ما قال الامام عبد الله بن المبارك انه أراد شراء أمة فمكث عشرين سنة يستخير ويشاور من أي سبي يشترى وقال النضر

ابن شميل كان الناس نياما عن الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة ودخل على أمير المؤمنين المنصور وعنده عيسى بن موسى العابد الزاهد فقال للمنصور هذا عالم الدنيا فقال له المنصور عمن أخذت العلم قال عن أصحاب عمر عن عمر وعن أصحاب علي عن علي وعن أصحاب ابن مسعود عن ابن مسعود فقال المنصور لقد استوثقت ومع ذلك أراد هلاكه فى وقائع جرت له معه وراوده على أن يلي القضاء فلم يقبل فضرب مائة سوط وحبس الى ان مات فى الحبس على قول وضرب أيضاً عشرين سوطاً على أن يلي أمر بيت المال فأبى ان يقبل وكان يقول اذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين أو عن أصحابه أخذنا ببعض أقوالهم ولم نخرج عنها أو عن التابعين زاحمناهم وكان يقوم كل الليل بعد ان كان يحيي نصفه فأشار اليه انسان وهو يمشي فقال هذا هو الذي يحيي كل الليل فلم يزل بعده يحيي كل الليل وقال أنا استحي من الله ان أوصف بعبادة ليست فيّ وقال بعضهم ما رأيت أصبر على الطواف والصلاة والفتيا بمكة من أبي حنيفة انما كان كل الليل والنهار فى طلب الآخرة وسمع هاتفاً فى المنام وهو فى الكعبة يقول أن يا أبا حنيفة أخلصت خدمتي وأحسنت معرفتي فقد غفرت لك أي لما كنت عليه من اخلاص الخدمة باحياء كل الليل وصيام أكثر الدهر وبذل الجهد فى نشر العلم على الوجه الاكمل واحسان المعرفة باتقان العلوم الظاهرة والباطنة والاخلاص فيها ورفض الدنيا والاعراض عنها رأساً والاقبال على الآخرة وبذل الوسع فى تحصيل أسبابها ومن هذه صفاته أقرب الى رجاء المغفرة له على وجه مخصوص لايبقى له ذرة تقصير ولمن اتبعك ببركة اخلاصك واحسانك للمذكورين الى قيام الساعة وفى هذا من البشرى له ولاتباعه ما يحمل الموفق منهم على بذل طاقته فى اقتفاء آثار امامه فيما كان عليه من تلك الاخلاق العلية والصفات الطاهرة الزكية التى قل أن تجتمع الا للعارفين والأئمة

المجتهدين وتتلمذ له من كبار المشايخ الائمة المجتهدون والعلماء الراسخون كالامام الجليل المجمع على جلالته وبراعته وتقدمه وزهده عبد الله بن المبارك وكالامام الليث بن مسعود وكالامام مالك ابن أنس وناهيك بهؤلاء الائمة وكالامام مسعر بن كدام وزفر وأبي يوسف ومحمد وغيرهم وتحمل لتقلد القضاء أي لاجل أن يتولاه وكذا مفاتيح خزائن بيت المال ما تحمل من العقوبة والضرب الشديد لما أبى عن ذلك ايثاراً لعذاب الدنيا على عذاب الآخرة ومن ثمة لما ذكر عند عبد الله بن المبارك قال أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها وما خالط الظلمة مع سؤالهم له فى ذلك والحاحهم عليه وتهديده ان لم يفعل وما قبل منهم شيئاً قط وان قل ومن ثمة لما أرسل اليه أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم على يد الحسن بن القحطبة ولم يمكنه ردها أوصى ابنه حماداً انه اذا مات ودفن يردها للحسن ففعل فقال له رحمة الله على أبيك لقد كان شحيحاً على دينه وما اشتغل بالدعوة أي بدعوة الناس الى مذهبه الا بالاشارة النبوية فى المنام اليه ليدعوهم الى مذهبه بعد ما قصد الانزواء والاستخفاء عنهم تواضعاً واحتقاراً لنفسه عن أن يجعل لها حظاً أو يرى منها أو لها فعلا حسناً يستحق أن يجعل دعاية الناس الى الاقتداء والعمل به فلما جاءه الاذن ممن فوّضت اليه قسمة خزائن الله تعالي على مستحقيها علم أن ذلك أمر حتم لابد منه فدعا الناس اليه حتى ظهر مذهبه وانتشر وكثرت أتباعه وخذلت حساده ونفع الله به شرقا وغربا وعجماً وعربا ورزق حظاً وافراً في اتباعه فقاموا بتحرير أصول مذهبه وفروعه وأمعنوا النظر في منقوله ومعقوله حتى صار بحمد الله محكم القواعد معدن الفوائد ويؤيد ذلك ماحكاه بعض أصحاب المناقب أن ثابتاً والده أتى به وهو صغير لعلي كرم الله وجهه فدعا له بالبركة ولذريته فكان ما أوتيه أبو حنيفة من بركة تلك الدعوة وما استظل بحائط المديون

حين أتاه متقاضياً تورعا منه عن أن يرتفق بشيء من آثار مدينه واعلاما للمدين انه لا يرغب فى رفق منه فان قبوله منه وان قل بطريق الشرع ينافي كمال المروءة والورع ومحاسن الاخلاق وكان له رحمه الله من ذلك ومن تجنب الشبهة ما أمكنه الحظ الوافر ومن ثمة تصدق بجميع مال أتى به وكيله اليه لما خلط به ثمن ثوب معيب ببيع حال كونه مخفياً عيبه من بائعه فهو وان لم يكن عليه اثم لجهله لكن فيه شبهة ما وانما لم يرد ثمنه لمشتريه ويسترده كأنه للجهل بالمشترى مع اليأس من العلم به فتصدق به كما يأتى مبسوطاً فى باب التوبة قيل وكان المال ثلاثين ألفاً ووقع له نظائر لذلك متعددة كما في كتب المناقب ومن عظيم ورعه وزهده ما مر من قصة الجارية التى أراد ان يشتريها ومن ذلك أيضاً انه ترك لحم الغنم لما فقدت شاة فى الكوفة الى أن علم موتها لأنه سأل عن أكثر ما تعيش فقيل له سبع سنين فترك أكل لحمها سبع سنين تورعا منه لاحتمال أن تبقى تلك الشاة الحرام فيصادف أكل شيء منها فيظلم قلبه اذ هذا هو شأن أكل الحرام وان انتفى الاثم للجهل بعين الحرام ولاجل ذلك فاز أهل الورع بما سبقوا به غيرهم من نور القلوب وتأهلهم لشهود المحبوب وقيامهم فى خدمته بحسب طاقتهم واعراضهم عن القواطع عنه طوق مقدرتهم وليس ما ذكر من مناقب هذا الامام يراد به حصر مناقبه فيه بل هو قطرة من بحر لاساحل له ومن غررها انه صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة فقيل له ما الذى قواك على هذا قال اني دعوت الله بأسمائه على حروف المعجم وهي مجموعة في كل من آيتين الاولى محمد رسول الله الى آخر سورة الفتح والثانية ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً الآية فى سورة آل عمران وانه كان يختم في رمضان ستين ختمة ختمة بالليل وختمة بالنهار الى غير ذلك من مناقب أخر له يعسر تعدادها فرحمه الله ورضى الله عنه وأرضاه وجعل جنات الفردوس متقلبه ومثواه انتهي كلام مختصر الاحياء مع شرحي له وبه يعلم

براءة الامام الغزالي حجة الاسلام مما نسب اليه من التعصب حاشاه الله منه

﴿المقدمة الثانية﴾

في بيان أمور يعمّ نفعها ويقبح بالطالب جهلها إذ به يقع في ورطة عظيمة ومهواة قبيحة غير مستقيمة فتعين ايرادها أولا وايضاح ماله بها تعلق مجملا ومفصلا ** منها عليك أيها الموفق ان أردت النجاة في الآخرة والسلامة من خطر الوقيعة في أحد من أولياء الله تعالى وورات نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ان تعتقد أن كل واحد من الائمة المجتهدين والعلماء العاملين على هدى من الله ورضوان وانهم كلهم مأجورون في سائر الحالات باتفاق أئمة النقل والبرهان وقد روي البيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به فلا عذر لاحد في تركه فان لم يكن في كتاب الله فسنة ماضية مني فان لم تكن سنة مني فما قال أصحابي ان أصحابي بمنزلة النجوم في السماء فأيما أخذتم به اهتديتم واختلاف أصحابي لكم رحمة ففيه إخباره صلى الله عليه وسلم باختلاف المذاهب بعده في الفروع من منذ زمن أصحابه الذي هو زمان الهدى والارشاد المشهود له من مشرّفهم بأنه خير القرون على الاطلاق ويلزم من اختلافهم اختلاف من بعدهم لأن كل صحابي مشهور بالفقه والرواية أخذ بقوله ومذهبه جماعة ومع ذلك رضي به صلى الله عليه وسلم وأقرهم عليه ومدحهم حتى جعل نفس ذلك الاختلاف رحمة للأمة وخيرهم في الأخذ بقول من شاؤا من أصحابه اللازم له الأخذ ويقول من أرادوا من المجتهدين بعدهم الجارين على منوالهم والسالكين لمسالكهم في أقوالهم وأفعالهم وقد أقر صلى الله عليه وسلم اختلاف أصحابه في وقائع جرت لهم في زمنه ولم يعترض أحداً فيما قاله ورآه مخالفا لما قاله نظيره ورآه كما يشهد بذلك وقائع كثيرة شهيرة من ذلك قصة اختلافهم في أسرى بدر

فأبو بكر ومن تبعه أشاروا بأخذ الفداء منهم وعمر ومن تبعه أشاروا بقتلهم فحكم صلى الله عليه وسلم بالأول ونزل القرآن بتفضيل الرأي الثاني مع تقرير الرأي الاول ففيه أوضح دليل على تصويب الرأيين وان كلا من المجتهدين مصيب ولو كان الرأي الاول خطأ لم يحكم به صلى الله عليه وسلم وقد أخبر تعالى بأنه عين حكمه بقوله لولا كتاب من الله سبق وطيب الفداء بقوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيباً وانما وقع العتب على اختيار غير الافضل ومن ثمة كان أكثر ما يقع الترجيح في المذاهب بالنظر الى الافضل من حيث قوة الادلة والقرب من الاحتياط والورع وذلك في مسائل معدودة لا من حيث مجموع المذهب وأما بالنظر الى التصويب فكله صواب وحق لاشبهة فيه ومن هذا كانت طريقة الصوفية أعدل الطرق وأفضلها وهي الأشد والأحوط في كل مسئلة بحيث يخرجون من جميع الأقاويل ويأتون بعبادة مجمع على صحتها ويوافق ذلك قول أئمتنا يسن الخروج من كل خلاف لم يضعف مدركه ولم يخالف سنة صحيحة أي مخالفة صريحة لا يمكن تأويلها وقد صرحوا بانه يسن الوضوء من كل ما قيل فيه انه ناقض وكان ابن شريح يغسل أذنيه مع وجهه ويمسحهما مع رأسه ويمسحهما منفردتين احتياطاً في الكل وخروجا من الخلاف ** ومن ذلك أيضاً قصة اختلافهم في قوله صلى الله عليه وسلم حين أراد غزو بني قريظة لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة فانهم لما خرجوا من المدينة اليهم وقد ضاق وقت الظهر اختلفوا فصلى جماعة منهم الظهر خشية خروج وقتها واحتجوا بأنه صلى الله عليه وسلم انما قال ذلك تحريضاً على الاستعجال ولم يرد اخراج الصلاة عن وقتها فاستنبطوا من النص معنى بنوا به أن الحصر في قوله الا في بني قريظة اضافي لا حقيقي وامتنع آخرون عن صلاة الظهر الى أن وصلوا بني قريظة بعد دخول وقت العصر واحتجوا بانه صلى الله عليه وسلم أطلق الحصر ولم يبينه فكان المراد به حقيقته

ثم بلغه اختلافهم وفعلهم فلم ينكر على أحد من الفريقين وأقرّ كلا على ما فهمه اشارة الى أن الكل مجتهدون مأجورون على هدى من الله تعالى فلا لوم على أحد منهم ولا ينسب اليه خلل ولا تقصير ولا سيما مع استحضارك لقوله صلى الله عليه وسلم فأيما أخذتم به اهتديتم فجعل الكل مهتدين فكيف مع ذلك ينسب لأحد منهم خطأ أو تقصير وأخرج بن سعد والبيهقي عن أبي بكر رضي الله عنه انه قال كان اختلاف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للناس وأخرج ابن سعد عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه انه قال ما يسرني باختلاف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حمر النعم رواه البيهقي بلفظ ما يسرني أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا لأنهم لو لم يختلفوا لم يكن رخصة ولما أراد هرون الرشيد أن يعلق موطأ مالك في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه قال له مالك لاتفعل يا أمير المؤمنين فان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلدان وان اختلاف العلماء رحمة من الله تعالى على هذه الأمة كل يتبع ما صح عنده وكل مصيب وكل على هدي فقال له هرون وفقك الله يا أبا عبد الله ووقع له ذلك مع المنصور أيضاً لما أراد ان يرسل الى كل مصر نسخة من كتب مالك ويأمرهم أن يعملوا بما فيها ولا يتعدوه الى غيره فقال له مالك لا تفعل هذا فان الناس قد سبقت اليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ورووا روايات وأخذ كل قوم بما سبق اليهم ودانوا بها من اختلاف الناس فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم وبما تقرر يظهر اتجاه القول بان كل مجتهد مصيب وان حكم الله تعالى في كل واقعة تابع لظن المجتهد وهو أحد القولين للائمة الأربعة ونسب ترجيحه لأكثر الشافعية والحنفية والباقلاني ولاينافيه الخبر الصحيح المصرح بان للمصيب أجرين وللمخطيء أجر لأنه محمول كما قال الحافظ الجلال السيوطي على أن المخطيء من المجتهدين انما أخطأ في عدم ادراكه الأفضل والأولى كما عتب على الصحابة في اختيار الفداء لأنه غير الأفضل

مع انه حكم صواب وقد قال الفقهاء فيمن صلى رباعية الى أربع جهات كل ركعة الى جهة بالاجتهاد لا قضاء عليه مع القطع بأن ثلاث ركعات منها الي غير القبلة واختلف اجتهاد عمر رضى الله عنه فى الحد يقضي فيه بقضايا مختلفة وكان يقول ذلك على ما قضينا وهذا على ما نقضى وأخرج البيهقى مرسلا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقضي القضاء وينزل القرآن بغير ما قضى فيستقبل حكم القرآن ولا يرد قضاءه الأول انتهى وفيما قاله واستدل به نظر واضح لا سيما ما ذكره آخراً إذ اجتهاده صلى الله عليه وسلم معصوم من الخطأ على الصواب بخلاف اجتهاد غيره ونقل الكردري عن الشافعى رحمه الله ان المجتهدين القائلين بحكمين متباينين بمنزلة رسولين جاءا بشريعتين مختلفتين وكلاهما حق وصدق وقال الإمام المازري القول بان الحق فى طرفين هو ماعليه أكثر أهل التحقيق من العلماء والمتكلمين وهو مروي عن الأئمة الأربعة واحتجوا بانه صلى الله عليه وسلم جعل له أجراً ولو لم يصب لم يؤجر وأجابوا عن اطلاق الخبر بانه محمول على من ذهل عن النص واجتهد فيما لا يسوغ الاجتهاد فيه من القطعيات مما خالف الاجماع فان مثل هذا اذا اتفق الخطأ فيه هو الذي يصح اطلاق الخطأ فيه وأما من اجتهد فى مسئلة ليس فيها نص أي قاطع ولا اجماع فلا يطلق عليه الخطأ وأطال الامام المازري فى تقرير ذلك وفى الشفاء لعياض القول بتصويب المجتهدين هو الحق والصواب عندنا وقد قال صاحب جمع الجوامع والمتكلمون عليه ونعتقد ان أباحنيفة ومالكا والشافعى واحمد والسفيانين والأوزاعي وابن جرير وسائر أئمة المسلمين على هدى من الله تعالى ولا التفات الى من تكلم فيهم بما هم بريؤن منه فقد أوتوا من العلوم اللدنية والمواهب الالهية والاستنباطات الدقيقة والمعارف الغزيرة والدين والورع والعبادة والزهادة والجلالة بالمحل الذى لا يسامي انتهى ورأى بعض الأئمة النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عن اختلاف المجتهدين فقال كل في

اجتهاده مصيب فذكر له الرائى قول أبى حنيفة المجتهدان مصيبان والحق فى واحد وقول الشافعى المجتهدان مصيب ومخطئ معفو عنه فقال صلى الله عليه وسلم هما قريبان فى المعنى وان كانا مختلفين فى اللفظ فقلت أيهما أولى بالأخذ من الفريقين فقال صلى الله عليه وسلم كلاهما على الحق ** ومنها عليك أيضاً ان تعتقد ان اختلاف أئمة المسلمين من أهل السنة والجماعة فى الفروع نعمة كبيرة ورحمة واسعة وفضيلة واضحة وله سر لطيف أدركه العلماء العاملون وعمي عنه الجاهلون حتى قال بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم جاء بشرع واحد فمن أين مذاهب أربعة ووجه ذلك ان الله تعالي خص هذه الشريعة برفعه عن أهلها الآصار والاثقال التي كانت على الأمم قبلها كتحتم القصاص فى شريعة موسى عليه السلام لأنه أرسل بالجلال الصرف وتحتم الدية في شريعة عيسى عليه السلام والتخيير بينهما في شريعتنا وكقرض محل النجاسة من البدن في شرعهم وغسلها بالماء فى شرعنا وكامتناع النسخ فى شريعة اليهود وجوازه في شرعنا ومن ثمة استعظموا نسخ القبلة وككتبهم فانها لا تقرأ إلا على حرف واحد وكتابنا يقرأ على حروف سبعة بل عشرة كل ذلك لقوله تعالى يُريد الله بكم اليسر ولا يُريد بكم العسر وقوله عز قائلا وما جعل عليكم فى الدين من حرَج وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة فمن سماحتها ويسرها ورفع الآصار عنها وقوع اختلاف أئمتنا فى الفروع لتكون المذاهب على اختلافها كشرائع متعددة حتى لا يضيق الأمر عليهم بالتزام شئ واحد وحتى يثاب كل عامل بمذهب صحيح ويمدح عليه وحتى ان من رأى له فسحة في غير مذهبه جاز له بشرطه الانتقال اليه والعمل به وكل هذه نعم عظيمة الموقع واسعة الرفق لاسيما وهي مؤذنة بغاية رفعته صلى الله عليه وسلم وتميزه على بقية الأنبياء بالتوسعة لأجله على أمته بتخييرهم فى الأمر الواحد بالعمل بكل ما فيه سهولة لهم لتصويب كل مجتهد منهم ومدحه

وان فرض خطأه وقد قرر السبكي ان جميع الشرائع السابقة شرائع له صلى الله عليه وسلم والأنبياء صلوات الله عليهم كالنواب عنه لأنه نبي وآدم بين الروح والجسد فهو إذ ذاك نبي الانبياء وهذا هو معني قوله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الناس كافة فهو مبعوث الى الخلق كلهم من لدن آدم الى قيام الساعة انتهى واذا تقرر ان شرائع الأنبياء شرائع له زيادة في تعظيمه فالشرائع التي استنبطها أصحابه وتابعوهم باحسان من أقواله وأفعاله على تنوعها شرائع متعددة له من باب أولى خصوصاً وقد أخبر بوقوعها ووعد بالهداية على الأخذ بها ورضي بها ومدحنا عليها وجعل ذلك رحمة اي رحمة ومنة أى منة كما مر بيان ذلك ومن ثمة لما جعل اختلاف هذه الأمة رحمة أخبر بان اختلاف الامم السابقة هلاك وعذاب اى لانهم لم يوسع لهم كما وسع لهذه الامة فكان اختلافهم محض كذب وتقوّل على انبيائهم بما هم بريؤن منه ** ومنها يتأكد عليك غاية التأكد الذي لا رخصة فيه ان لا تفضل بعض المذاهب على بعض تفضيلا يؤدي الى تنقيص المفضل عليه فان ذلك يؤدي الى المقت والخزي في الدنيا والآخرة وسيأتى عن الله تعالى انه قال من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وعلماء المسلمين العاملون كلهم أولياء الله تعالى من غير شك ولا ريب وكثير ما يؤدى التفضيل الى الخصام القبيح بين السفهاء ومن لا خلاق لهم ولا دين ولا تقوى الى أن يظهر من بعضهم قبيح العصبية وحمية الجاهلية ويفضى ذلك بهم الى ترجيح مذهب امامه واطلاق لسانه فى غيره بعدم أدب وغفلة تامة عما يترتب بسبب ذلك من المقت والخزى والى أن ينتصر بعض مقلدى مخالفيه لامامه فيرد على الاول ويطلق لسانه فيه ويتعدى الى امامه ويطلق لسانه فيه زاعماً ان ذلك من باب مقابلة الفاسد بالفاسد ولو عرض كلام كل منهما على امامه لزجره عنه وتبرأ منه وهجره لاجله ولوقوفه بقبيح ما ارتكبه فى شرك المقت والردى اذ ربما أيس من موته على الهدي وقد أخبر

ابن عباس رضى الله عنهما بان سبب هلاك الامم السابقة مراؤهم وخصوماتهم في دين الله حفظنا الله من وعير هذه المسالك وحشرنا فى زمرة أولئك الأئمة فانا نحبهم و نعظمهم بما نرجو به ان نحشر معهم علي الارائك اذ من أحب قوماً حشر معهم كما أخبر به مورثهم ومشرفهم وكفى من انتقص أحداً منهم أن يحرم هذه المرافقة فى ذلك المجمع الا كبر وان ينادى عليه فيه هذا عدو أولياء الله فليس له الا الخزي والعذاب في المحشر

﴿ المقدمة الثالثة فيما ورد من تبشير النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

(بالامام ابي حنيفة رحمه الله)

اعلم ان أعظم ذلك وأجله وأوضحه وأكمله ما أخرجه البخارى ومسلم عن أبي هريرة وأبو نعيم عنه والشيرازى والطبراني عن قيس بن سعد بن عبادة والطبرانى عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلي الله عليه وسلم قال لو كان العلم عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس ولفظ الشيرازى وأبي نعيم لو كان العلم معلقاً عند الثريا ولفظ الطبراني عن قيس لا تناله العرب لناله رجال من ابناء فارس ولفظ مسلم لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس قال الحافظ المحقق الجلال السيوطي هـذا أصل صحيح يعتمد عليه فى البشارة بأبي حنيفة رحمه الله وفى الفضيلة التامة له نظير الحديث الذى في مالك رحمه الله وهو قوله صلى الله عليه وسلم يوشك ان يضرب الناس اكباد الابل يطلبون العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة والحديث الذى في الشافعى رحمه الله وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا قريشاً فان عالمها يملأ الارض علماً وهو حديث حسن له طرق كثيرة وزعم بعضهم وضعه وزيفوه وشنعوا

علي زاعمه ومخترعه قال العلماء عالم المدينة فى الحديث الاول مالك وعالم قريش فى الحديث الثانى الشافعي قال بعض تلامذة الجلال وما جزم به شيخنا من أن الامام أبا حنيفة هو المراد من هذا الحديث ظاهر لا شك فيه لأنه لم يبلغ أحد اي فى زمنه من أبناء فارس فى العلم مبلغه ولا مبلغ أصحابه وفيه معجزة ظاهرة للنبي صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بما سيقع وليس المراد بفارس البلد المعروف بل جنس من العجم وهم الفرس وسيأتى ان جد الامام أبى حنيفة منهم علي ما عليه الاكثرون وفى خبر عند الديلمي خير العجم فارس قال الجلال وبهذا الخبر أى المتفق على صحته يستغنى عن الخبر الموضوع المروي فى حق أبى حنيفة رحمه الله قال تلميذه المذكور أشار شيخنا بهذا الى رد ماذكره بعض أصحاب المناقب ممن ليس له دراية بعلم الحديث فان فى سنده كذابين وضاعين ولفظ خبرهما يكون فى أمتى رجل يقال له ابو حنيفة هو سراج أمتى الي يوم القيامة وفى لفظ يكون فى أمتى رجل اسمه النعمان وكنيته أبو حنيفة هوسراج أمتى هو سراج أمتي وفى لفظ سيأتي من بعدى رجل يقال له النعمان بن ثابت ويكنى أباحنيفة يحيي دين الله تعالى وسنتى على يديه وفى لفظ فى كل قرن من أمتي سابقون وأبو حنيفة سابق هذه الامة وفى لفظ عن ابن عباس رضي الله عنهما يطلع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر على جميع خراسان يكنى بابى حنيفة وفي لفظ آخر عنه ان الرأى الحسن وانه يكون بعدنا رأى حنيف تجرى به الاحكام مابقى الاسلام وانه كرأينا وأحكامنا يقوم به رجل يقال له النعمان بن ثابت الكوفي ويكنى بأبي حنيفة وهو من أهل الكوفة جهبذ فى العلم والفقه يصرف الاحكام على وجهها حنيفي الدين والرأى الحسن وفى لفظ عن ابن سيرين انه لما قص عليه منامه الآتى قال له اكشف عن ظهرك ويسارك فكشف فرأى بين كتفيه أو عضد يساره خالا فقال صدقت أنت أبو حنيفة الذى قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم في حقه يخرج من أمتي رجل يقال له أبو حنيفة بين كتفيه وفى رواية على يساره خال يجادين الله تعالى وسنتي على يديه وهذه كلها موضوعات لاتروج على من له أدنى المام بنقد الحديث وقد أوردها ابن الجوزى فى الموضوعات وأقره الذهبى وشيخنا الحافظ الجلال السيوطي في مختصريهما والحافظ أبو الفضل شيخ الاسلام ابن حجر في لسان الميزان وتبعهم الامام الحافظ الذى انتهت اليه رياسة مذهب أبى حنيفة فى زمنه الشيخ قاسم الحنفي ومن ثمة لم يورد شيئاً منها أئمة الحديث الذين صنفوا فى مناقبه كالطحاوي وصاحب طبقات الحنفية محيي الدين القرشي وآخرين كلهم حنفيون ثقات أثبات نقاد لهم اطلاع كثير انتهي حاصل كلام تلميذه الجلال رحمهما الله تعالى ومن اطلع على مايأتي في هذا الكتاب من أحوال الامام أبى حنيفة وكراماته واخلاقه وسيرته علم انه غني عن ان يستشهد على فضله بخبر موضوع أو لفظ موضوع لاسيما مع ماتقرر من حديث البخارى ومسلم وغيرهما المحمول على أبى حنيفة كنظرائه من العجم وكمن هو أعلى منه وأجل كسلمان الفارسي رحمه الله ومما يصلح للاستدلال به على عظم شأن أبى حنيفة رحمه الله ماروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ترفع زينة الدنيا سنة خمسين ومائة ومن ثمة قال شمس الائمة الكردري بفتح الكاف ان هذا الحديث محمول على أبى حنيفة لانه مات تلك السنة رحمة الله عليه

﴿ الفصل الاول في بيان الاسباب الحاملة على تأليف هذا الكتاب ﴾ الاول ماجاء عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم بسند حسن بل ذكره مسلم في مقدمة صحيحه وابن خزيمة فى صحيحه قالت أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم وفي رواية للخرائطى أنزل الناس منازلهم فى الخير والشر وفى أخرى أنزلوا الناس منازلهم وداروا الناس بعقولكم وجاء عن علي كرم الله وجهه من أنزل الناس منازلهم رفع المؤنة عن نفسه • الثانى

انه وقع فى تاريخ الخطيب ومنتظم أبي الفرج ابن الجوزى ذكر أشياء تنافى كمال أبى حنيفة رحمه الله على ان الخطيب ذكر من فضائله بعد ذلك بأسانيده المشهورة مايبهر العقل ذكره بل كل من جاء بعده انما يستمد فى ترجمة الامام منه وكذلك وقع في المنخول المنسوب للامام الغز الى حجة الاسلام ذكر أشياء من ذلك وانما قلنا المنسوب لانه لم يصح نسبة جميع مافى هذا الكتاب اليه فيحتمل أن تكون تلك الالفاظ الشنيعة اختلقت عليه بدليل انه مدحه في كتاب احياء علوم الدين المتواتر عنه بما يليق بكمال أبى حنيفة رحمه الله وأجاب بعض المحققين من الحنفية كما مر بانه بتقدير صدور هذا من الغزالى فهو فى حال ابتداء أمره حين كان على شأن الفقهاء المتعصبين فلما تورق عن ذلك وطهر أخلاقه ووصل الي ماوصل اليه من الكمالات رجع عن ذلك وذكر الحق فى كتاب الاحياء كما يدل لذلك قوله فيما حدث من الخلافيات والمجادلات فيها والتحريرات والتصنيفات فاياك وان تحوم حولها فاجتنبها اجتناب السم القاتل فانه الداء العضال وهو الذى رد الفقهاء كلهم لطلب المنافسة والمباهاة على ماسيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتها وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال الناس أعداء ماجهلوا ولاتظنن ذلك فعلى الخبير سقطت وأقبل هذه النصيحة ممن ضيع عمره فيه زمانا وزاد فيه على الاولين تصنيفاً وتحقيقاً وجدلا وبيانا ثم الهمه الله تعالي رشده وأطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه انتهى وكذلك وقع كما مر بسط الكلام فيه من بعض المتعصبين ممن يسمى بالغزالى حتى ظن انه الامام حجة الاسلام وليس كذلك وانما هو شخص آخر مجهول له تأليف مستقل فى الحط الشنيع على أبى حنيفة رحمه الله مع نزاهته وبراءته عما نسب اليه فيه على انه غير بعيد ان بعض الزنادقة والمحرومين من الخير اختلق ذلك ونسبه الى ذلك الامام الكبير والعلم الشهير الذي هو حجة الاسلام ليروج على الناس ما افتراه فكان بسبب ذلك ممن أضله الله وأعماه

فحينئذ تعين على كل من قدر على تزييف مافي الكتب وتسفيه أن يبطل جميع مافيها وان يكذب واضعيها ومختلقيها بما أطبق عليه العلماء المعتبرون والائمة المجتهدون من تعظيم ذلك الامام الاعظم والحبر المقدم امتثالا للاحاديث السابقة واللاحقة • الثالث تبيين خطأ المتعصبين فى قولهم ماتكلمنا في أبي حنيفة وغيره الا لأن ذلك متعين علينا لتباين أحوال الرجال وتمايز أوصافهم التي عليها مدار الرواية والنقد والكمال وكلامهم هذا من منوال كلام الخوارج الذي قال فيه علي كرم الله وجهه لما احتجوا عليه به كلمة حق أريد بها باطل فكذلك كلام أولئك كلام حق في نفسه لكن اريد به باطل وأي باطل اذ لم يعتمدوا فى ذلك الا على كلمات صدرت من بعض معاصريه فى حقه حسداً له على ما آتاه الله تعالى من فضله أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وكذا صدر من بعض من جاء بعده كلمات نسبوها اليه لاتصدر ممن له أدنى كمال بل دين وليس قصدهم الاشينه واخمال ذكره ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون وكفاهم فى زجرهم ونكالهم ماجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم بسند جيد أيما رجل أشاع على رجل بكلمة وهو منها بريء يشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله تعالى أن يحبسه في جهنم حتي يأتى بنفاذ ماقال وفي رواية صحيحة من قال فى مؤمن بما ليس فيه أسكنه الله تعالى في ردغة الخبال حتي يخرج مما قال وليس بخارج وردغة الخبال بفتح فسكون الدال المهملة فمعجمة فخاء معجمة مفتوحة فموحدة عصارة أهل النار كما في حديث مرفوع • الرابع تبيين أنه رحمه الله كسائر أئمة الاسلام ممن صدق عليهم قوله تعالى ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ووجه ذلك الصدق أن كلا من أولئك الائمة المجتهدين والعلماء العاملين صحت عنه كمالات باهرة للعقول وأحوال وكرامات لاينكرها الا المعاند الجهول فهم الاولياء على

الحقيقة والجامعون بين الحقيقة والشريعة واذ قد تمهد ذلك فتنتقص أحد منهم ممن حقت عليه كلمة الطرد والمقت كيف وهو قد أدخل نفسه فيما لاطاقة له به من محاربة الله تعالى ورسوله ومن حارب الله هلك هلاكا أبديا نعوذ بالله من ذلك والدليل على هذا مارواه الائمة البخارى وغيره من طرق كثيرة تزيد على خمسة عشر طريقاً عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى قال من عادى أو أذل أو آذى أو أهان روايات لي وليا وفى رواية ولى المؤمنين فقد آذنته أى اعلمته بالحرب وفى رواية فقد استحل محاربتي وفى أخرى فقد بارزني بالمحاربة وقوله لى ظرف لغو ويجوز أن يكون مستقراً لانه حال قدمت على صاحبها لتنكيره والمحاربة فيه من باب يخادعون الله وعاقبت اللص وحكمة ايثاره المخاطبة بما يفهم اذ الحرب ينشأ عن العداوة الناشئة عن المخالفة وغايتها اللازمة لها الهلاك أى من كره من أحببته عاداني وعاندني ومن عاندنى فقد تعرض لاهلا كى اياه أشد الهلاك وأفظعه فأطلق الحرب وأريد لازمها واذ قد علمت هذا علمت أن فيه من الوعيد الشديد والزجر الاكيد والمنع البليغ مايحمل من له أدنى مسكة من عقل فضلا عن دين على أن يجتنب الخوض في شيء مما ينتقص به أحداً من أئمة الاسلام ومصابيح الظلام وأن يبالغ فى البعد عن ايذائهم بوجه من الوجوه فانه يؤذى الاموات مايؤذي الاحياء وكيف يسع أحداً أن يقدم على شيء من ذلك والله تعالى يقول اني لاغضب لاوليائى كما يغضب الليث للجرو وفى رواية عند الامام أحمد رحمه الله عن وهب بن منبه قال قال الله عزوجل لموسى عليه السلام حين كلمه ربه جل وعلا اعلم أن من أهان لى ولياً فقد بارزني بالمحاربة وناوانى وعرض نفسه ودعاني اليها وأنا أسرع شيء الى نصرة أوليائى أفيظن الذى يحاربني أن يقاومني أو يظن الذي يبارزنى أن يعجزني أو يسبقني أو يفوتني كيف وأنا ثائر لهم في الدنيا والآخرة فلا أكل نصرتهم الى